﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

بتاريخ [٣١-٣-٢٠١٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. يعز ويذل، ويكرم ويهين، ويخفض ويرفع، ويُضحك ويُبكي، ويبتلي ويعافي، فلا إله إلا الله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله-صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلهِ-، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء وبلغ الرسالة حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته، صلوات الله وسلامه عليه عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وبعد...

أيُها الإخوة، فإن الله يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)﴾ [الإسراء: ٨٢]. ويقول تعالى للوالدين للأبوين الكريمين آدم وحواء عندما أهبطهما من الجنة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]. فعلينا بالكتاب المنزل من عند الله إذا أردنا لأنفسنا السلامة والأمان في الدنيا وفي الاخرة، فإن المعرض عن كتاب الله والمعرض عن سنة رسول الله سيشقى شقاء في الدنيا والآخرة بحسب بُعده عن الوحيين الكريمين، وكلما ازداد بعدًا ازداد شقاءً وإن زين له الشيطان سوء عمله.

فعلينا بالوحيين بكتاب الله بسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وفي هذا المقام ودائمًا وأبدًا خير ما يُذكر به هو كتاب الله وكذا سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ إذ هي وحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾ [النجم: ٣-٤]. فخير ما يُذكر به في المجامع كتاب الله وسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا داخلٌ ضمنًا في ذكر الله، فالقرآن أُطلِق عليه ذكر كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر: ٩].

والساعي إلى الجُمعات إنما يسعى لذكر الله لا لذكر فلان ولا لذكر فلان، وهكذا ينبغي أن تكون المنابر يُبَث منها كلام الله وكلام رسول الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ [الجمعة: ٩]. فالذي يُذكَر هو الله، أوامره، ونواهيه، وحدوده، وأحكامه وكذا سنة رسوله محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلذا أتناول بعض الآيات من سورة هود تلك التي قال الله في خاتمتها: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ [هود: ١٢٠]. فقوله تعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾. أي: في هذه السورة المباركة سورة (هود): ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. الآيات.

خواتمها من قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [هود: ١١٠]. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾. وهو التوراة، ولكن ماذا كان لما أوتي موسى التوراة؟ من الناس من قبلها ومن الناس من ردها أيضًا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾. أنه أخرهم إلى أجل معين محدد عنده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾. فلم يكن ربنا بعاجزٍ عن الانتقام ممن رفضوا التوراة وعارضوا موسى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ولكنه -سُبْحَانه- قدر لكل أمةٍ أجلًا من الآجال، قدر لكل قوم أجلًا هم بالغوه.

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾. أي: قضاها وقدرها ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾. أي: لبُين للمحق وأُعطي المحق أجره في الدنيا، ولأُنتقِم من الظالم عاجلًا غير آجلًا، ولكنها آجال مقدرةٌ محتومة ومصائر كُتِبت علينا جميعًا قبل أن نُخلق، فقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنَّ اللهَ كتب مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يخلقَ السَّمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ». وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

فقال تعالى هنا في الآية التي نحن بصددها: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾. أي: قضاها وتكلم بها لأُعطي لكل ذي حق حقه، قال تعالى: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾. في شكٍ من التوراة مريب، أعني أهل الكفر، وكذلك في شكٍ من بعثة موسى مريب، فأهل الكفر شكوا في التوراة وشكوا في موسى، وأهل الإيمان قبلوا التوراة وقبلوا موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [هود: ١١١]. لا تظن أن الأمور تمشي خبط عشواء وأن الذكر سيُضرَب صفحًا عن الناس، كلا بل لزامًا أن يؤدى لكل ذي حق حقه، لزامًا أن يُحاسب الشخص، وبعد ففضل الله واسع فليتفضل بالعفو وقد يؤاخذ على الجنايات، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه (٨)﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. فلا تظن أن الصحائف تطوى على أعمالكم ويُضرَب عنكم الذكر صفحًا كلا بل ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)﴾ [القمر: ٥٢-٥٣].

لا تظن أبدًا يا ابن آدم أنك تجري وتلعب كيف شئت، وتتجول في ثنايا المحرمات كيف شئت، وتتبع الهوى كيف شئت، ولا تظن أيُها الشاب أنك تنام وتتلوى على الفراش تغازل الفتيات وتدخل على المواقع الإباحية كيف شئت وتُترَك، كلا؛ بل الله قال: ﴿وَإِنَّ

كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾. وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾ [القيامة: ٣٦]. أي: هملًا بلا ثواب، ولا عقاب، ولا بعثٍ، ولا حساب، كلا لن تُترك سدى يا ابن آدم.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧)﴾ [الأنبياء: ١٦-١٧]. فربنا لا يلهو أبدًا ولا يعبث بل قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]. أي: تعالى الله عن العبث، فربنا ما خلقنا عبثًا، ولا خلقنا كي نرتع كالبهائم أبدًا، إنما كُلِفنا بتكاليف وحُمِلنا أمانات لزامًا أن نؤديها، وسنُحاسب جميعًا.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ثم تأتي الأوامر لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولنا تبع، فنحن أتباع محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، تأتي الأوامر لرسولنا لأسوتنا محمدٍ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، يقول الله له: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]. أنت والذين تابوا معك من شركهم استقيموا كما أمركم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

استقيموا على أمر الله، كما جاء الرجل إلى رسول الله يسأله كلامًا موجزًا، قال له: «قُلْ آمنتُ باللهِ ثمَّ استقِم». نستقيم على ماذا؟ نستقيم على أمر الله وأمر رسوله، والقرآن بين أيديكم تقرؤونه صباح مساء، انظروا ماذا يريد منكم ربكم وماذا يريد منكم نبيكم، وانظروا إلى ما نهاكم ربكم عنه فاجتنبوه، وكذا ما نهاكم عنه رسول الله فانتهوا عنه، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾. هل هناك طغيانٌ قد يسلكه مريد الاستقامة؟ نعم، قد يسلك مريد الاستقامة تجاوزًا للحدود، فيظن أنه يحسن صنعًا وهو قد ابتعد عن الطريق بعدًا شديدًا، ولذلك فإن من أصحاب النبي من كان قد وقع في شيءٍ من

هذا، فجلس جماعة من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كل يريد الخير، كلهم يريدون الخير، تذاكروا عبادة الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كيف يصلي الرسول، كيف يصوم الرسول، تذاكروا عبادة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فكأنهم تقالوها، رأوها قليلة، وقالوا: هذا الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأين نحن منه؟ إذن لا بُد أن نجتهد اجتهادًا زائدًا حتى يُغفَر لنا، فقال أحدهم: أما أنا فلا أكل اللحم ما حييت، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء ما حييت، وقال الثالث: أما أنا فأصوم الدهر كله ولا أفطر، وقال الرابع: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام. فبلغ أمرهم النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فاستدعاهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقال: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا؟! «واللهِ إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وأَخْشَاكُمْ له، لَكِنِّي أَصُومُ وأُفْطِرُ، وأقومُ و أنامُ، وأكلُ اللحمَ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي».

فقد يسلك شخص سبيل السلامة والنجاة، ولكنه يتجاوز الحدود، فقد شُرِع لنا في كتاب ربنا وفي سنة نبينا بينت لنا حقوق علينا وواجبات، فلا تهدر حقًا وتودعه في مقام غير مقامه، فالنبي قال: «إنَّ لنَفْسِك عليك حَقًّا، إنَّ لأهلِك عليك حقًّا، إنَّ لزورِك أي: لضيفك عليك حقًّا، إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا». وفي بعض الروايات: «وَإِنَّ لوَلَدِكَ عليْكَ حَقًّا فأعطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ». لا تظلم نفسك، لا تظلم نفسك، قد تظلمها بالاجتهاد في العبادة فتؤدي ببدنك إلى المرض، والنبي لما دخل المسجد وجد حبلًا معلقًا قال: «لمن هذا الحبل؟ قالوا: هذا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ بنت جحش إِن فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِه، قالَ: حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فتَرَ فَلْيَقْعُدْ».

وقال النبي لعبد الله بن عمرو بن العاص: «بَلَغَنِي أنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وتَصُومُ النَّهارَ، قَالَ: نعم يا رسولَ اللهِ، قالَ: فإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذلكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ، إنَّ لنَفْسِك عليك حَقًّا، وإنَّ لأهلِك عليك حقًّا». فذكر الحديث فقد يظن الشخص أنه محسن وهو مسيء في الحقيقة، مسيء لتجاوزه، ولذا جاء النهي عن الطغيان، أي: تجاوز الحد في العبادة

المشروعة التي شرعها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولا يخفى عليكم أن الخوارج قال فيهم رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما قال له رجلٌ وهو يقسم غنائم حنين بالجعرانة: «اعدِل يا محمَّدُ، إنَّكَ لا تعدِلُ قالَ: ويلَكَ ومَن يعدلُ إذا لم أعدِلْ ثم قالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: يخرجُ مِن ضِئْضِئِ هذا الرجلِ أقوامًا تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مع صَلاتِهِمْ، وصِيامَكُمْ مع صِيامِهِمْ، يمرُقونَ منَ الدِّينِ كما يمرُقُ السَّهمُ منَ الرَّميَّةِ، لئنْ أدركتُهم لأقتُلَنَّهم قتْلَ عادٍ».

إن جئت تقارن صلاتهم بصلاتك، أنت تصلي مثلًا بعد المغرب ركعتين، وإن زدت وقلت: أصلي ركعتين أخريين، يصلي هو عشرين ركعة، تعجز عن منافسته في صلاته، تعجز عن منافسته في صيامه، تعجز عن منافسته في ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولكن «يمرُقونَ منَ الدِّينِ كما يمرُقُ السَّهمُ منَ الرَّميَّةِ». ما الذي استفادوه من الدين؟ ما استفادوا كبير شيء، كالسهم المدبب الذي يُطلَق في صدر رجلٍ ومن سرعته يخرج من ظهره دون أن يبتل بالدماء، فكذلك يدخلون الإسلام ويخرجون منه دونما كبير استفادة استفادوها.

ولقد ذُكِر في تراجم بعضهم أنه لما قُدِم للقتل لما صدر منه من فساد في الأرض قُطِعت يده وهو صابر، قُطِعت رجله وهو صابر، وهو صابر على كل هذا وكان يُفعَل به قصاصًا، فلما قيل له: سيقطعوا لسانك، بكى بكاءً شديدًا، قالوا: لمَ تبكي وقد قُطِعَت رجلك وأنت صابرٌ؟ قال: أخشى أنْ أفترَ عن ذكرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فالشاهد من ذلك: أن لنا ضوابط تُضبَط بها شؤوننا وتُضبَط بها أمورنا، فحتى الاستقامة لها ضوابط ضُبِطنا بها، ولقد قال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ورأى امرأة في بيته يقال لها الحولاء بنت تويت: «مَن هذه يا عائشة؟ من هذه، معشر النسوة؟ قالُوا: الحولاء بنت تويت، وذكرُوا من صلاتِها وصيامِها، قالَ: مَهْ، علَيْكُم بما تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَمَلُّوا». فقد يسلك قوم سبيل الاعتداء في العبادة، ولقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وفي معرضٍ أحث على الأكل من الطيبات ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٨٧-٨٨]. وكذا ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. اعتداء في تحريم ما أحله الله -سُبْحَانه-، فهذا نوع اعتداء.

قال تعالى: ﴿وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. ثم قال تعالى محذرًا: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣]. لا تركنوا إلى أهل الظلم، ولا تظنوا أن ركونكم إلى أهل الظلم فيه نجاة لكم، كلا بل هذا يجلب العذاب ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾. فلا تركن إلى شخصٍ ظالمٍ وتظن أنك ستنجو وأنه هو المدافع عنك والحفيظ لك، كلا بل هذا ظن خاطئ، بل عليك أن تأوي إلى ركن شديد، عليك أن تأوي إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، هو ﴿خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)﴾ [يوسف: ٦٤].

ولقد قال رسوله الأمين: «احفظِ اللهَ يَحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ». كذا قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو نحوه، قد فسر بعض العلماء الركون بالميل اليسير إلى أهل الظلم، وفسر قوم الركون بالميل مع السكون ولكل شواهده، أما الميل اليسير واعتباره من الركون فإن الله قال: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

فإياك أن تركن إلى شخص ظالم، وإياك أن تصوب منهج شخص ظالم، وإياك أن تركن إلى بلطجي كما يقولون تظن أن النصر من عنده، كلا بل سيرديك وإن ظهرت السلامة في اتباعه في أول أمرك ولأول وهلة.

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ﴾. أي: حينئذٍ ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾. ثم يقول تعالى لمن زلت قدمه ولمن وقع في خطيئة حتى لا ييأس أحد من رحمة الله ولا يقنط شخص أبدًا من رحمة الله، يقول -تَعَالَى ذِكْرَهُ- في كتابه الكريم: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]. أي: قطعًا من الليل ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾. الآية لها سبب نزولٍ، حاصلها أن رجلًا التقى بامرأة فقبلها، فذهب إلى النبي يسأله فأعرض عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم لما انصرف الرجل نزلت الآية على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾. فدعاه النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وتلاها عليه، وأمره أن يتوضأ وأن يحسن الوضوء، ويصلي ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، يستغفر الله فيهما، يذكره فيهما، فقال الصحابي: «أليّ هذه خاصة يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: بل لِمَن عمِلَ بها من أُمَّتي، بل للمُسلِمين عامةً».

فأخذ العلماء من ذلك قاعدة حاصلها وهي نافعة ويمكن أن تستغني به عن كثير من الفتيا، أن الشخص إذا ارتكب سيئات يُتبعها بالحسنات، وتُقدَر السيئات وتُقدَر الحسنات المقابلة لها حتى تطمث الحسنات السيئات، فإذا زلت قدمك في باب من الأبواب بادر بعمل صالح كي تُمحى الخطيئة، كما في الأثر وإن كان سند الحديث مرفوعًا ضعيف، لكن للمعنى شواهد عدة «وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها».

فإذا صدرت منك سيئةٌ فبادر بفعل حسنة، قد تصدر منك خائنات أعين، قد يصدر منك لمس أو غمز، لمس لامرأة اجنبية مثلًا، أو تصدر نظرات منك محرمة، فبادر بحسنة استغفر الله عددًا من الاستغفار، قل: لا إله إلا الله، قم توضأ فإنك إذا توضأت وغسلت عينيك مع وجهك خرجت خطايا عينيك مع وجهك مع الماء أو مع آخر قطر الماء، كل خطيئة اقترفتها عينك تخرج مع الماء -بِإِذْنِ اللهِ- أو مع آخر قطر الماء، قد يقع بصرك على صورة من الصور المحرمة فبادر بالوضوء لمحو أثر الذنب من عينيك، وهكذا افعل حسنات بعد السيئات، وكما هو مقرر في قواعد الكفارات أن الذنب يُقدَر ومن ثم يُفعَل عمل صالحٌ يوازي هذا الذنب أو أكبر من هذا الذنب حتى يُمحى الأثر وحتى يزول، حتى يمحى الأثر وحتى يزول، وكان هذا من منهج عبد الله بن عباس -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُما- كان ينظر إلى حجم الذنب ويفتي بعمل صالح يكافئ الذنب ويوازيه أو أكبر من الذنب حتى يُمحى هذا الذنب.

ولذا نُقِل والخبر عن رسول الله معلول، ولكن الصواب وقف على ابن عباس نُقِل عنه في من يأتي امرأته وهي حائض، أحيانًا يتصدق بثلث دينار، بنصف دينار، بربع دينار على حسب الحرمة التي أُنتهكت، هل باشرها في فور الحيضة وهو لا يظن أنها حائض، هل باشرها في وسط الحيضة وهي يقينًا حائض؟ أو باشرها في آخر الحيضة ويظن أن الحيضة زالت أو كادت؟ فكان يفتي بكفارات توازي الذنب حتى يُمحى الأثر.

ونحوه في فتاوى ابن عباس في من ترك واجبًا من واجبات الحج، قال: من ترك واجبًا فلينسك نسيكة أي: ليذبح دمًا، قد يقول قائل: ليس في الباب نص عن الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، نعم ليس في الباب نص، لكن فاعل ذلك انتهك الحرمة، الذي يتعدى الميقات عامدًا عالمًا انتهك المحرمات، وخالف الأمر أمر الرسول في المواقيت فقد أذنب.

كيف يُمحى الذنب؟ هل يكفي أن أقول: أستغفر الله؟ ليست كلمة أستغفر الله كافية في كل وقت وفي كل حين، نعم قد تكفي لذنبٍ من صغار الذنوب، لكن قد تكون هناك ذنوب يلزمها صلاة ركعتين، قد تكون هناك ذنوب أكبر يلزمها صيام ثلاثة أيام، قد تكون هناك ذنوب تأتي الجمعة لتكفيرها، قد لا تقوى الجمعة على تكفير بعض الذنوب، يأتي رمضان وليلة القدر قد لا يكفي رمضان لتكفير بعض الذنوب الكبائر، يأتي الحج يهدم كثيرًا من الكبائر، وذنوب لا يكفيها كل هذا، بل يلزم معالجتها في الدنيا قبل الآخرة وهي المتعلقة بالعباد، لا تسرقني وتقول: أستغفر الله، لا تسرقني وتذهب تصلي وتقول: ربي اغفر لي، لزامًا أن تؤدي الحق إلى أهله ومستحقيه، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. قاعدة تنطلق منها جملة من الإرشادات والفتاوى لمن أراد أن يتوب من ذنب أُرتكب أو من كبيرة صُنِعت.

﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ﴾ [هود: ١١٤-١١٥]. أمر الله نبيه بالصبر، ونحن جميعًا أُمِرنا به صبرٌ على جهالات الناس وحماقات الناس، صبرٌ على أقدار الله المؤلمة، صبر على الطاعات ولزوم لها، ﴿وَاصْبِرْ﴾. بصفة عامة ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. فكل عليه بالصبر، عليه أن يرتدي هذا الرداء وأن يلبس هذا اللباس لباس الصبر الذي هو ضياء، كما قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «الصَّبْرُ ضِياءٌ». وكما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾ [الزمر: ١٠]. وفي الحديث: «وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عطاءً خَيرًا وأَوسع من الصبرِ».

فوطنوا أنفسكم عليه، واستعينوا بالله واصبروا، ولن تصبروا إلا إذا صبركم الله، كما قال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. فاسألوا الله أن يرزقكم هذا الخلق الكريم، اطلبوا من الله أن يجعلكم من الصابرين ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُحْسِنِينَ﴾. لا تظن أن الإحسان وصنائع المعروف تضيع عند الله، كلا والله ما يضيع ربنا أجر من أحسن عملًا ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ثم يقول تعالى مذكرًا لنا بأمرٍ عظيمٍ من الأمور التي بها قوام الأمم، ألا وهو التناهي عن المنكر: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦]. أي: فهلا كان في الأمم من قبلكم أهل عقل وأولوا نُهىً ينهون عن الفساد في الأرض، كلا ما كان في كثير من الأمم التي أهلكها الله أولو عقل وأولو نهى ينهون عن الفساد في الأرض ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. ففي هذا استحثاث لنا على التواصي بالحق وعلى التناهي عن المنكرات.

فإذا رأينا من يفعل المنكرات لزمنا الأخذ على يديه حتى تسلم البلاد ويسلم العباد، لا تمشي كما يقول القائل في حالك لا تغير منكرًا ولا تأمر بمعروفٍ، كلا بل سبيل الفلاح فيما قاله الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران: ١٠٤]. فلا تظن أن الرجل الطيب هو الذي يمشي في حاله لا يُكلم أحدًا بكلمة، وإن شئت قلت مصليًا يذهب من البيت للمسجد ولا يساهم في أمر بالمعروف ولا في نهي عن المنكر، كلا بل الطيبون الأكرمون من يصلحون العباد الذين فسدوا ويردونهم إلى طريق الله بعد أن شردوا عنه.

الطيبون الصالحون هم الذين يرون المنكرات فيزيلونها بأيديهم إن استطاعوا، بألسنتهم إن عجزوا عن اليد، بقلوبهم ولا يبرحوا إلا وهم ناهين عن المنكر آمرين بالمعروف، هذه الفئة المفلحة، فغبروا أقدامكم مكللين سعيكم بالحكمة والموعظة الحسنة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، رأيت منكرًا؟ قل المنكر أو كبر، جل المنكر أو دق، تناهوا فيما بينكم عن المنكرات وإلا فالبلاد ستغرق.

إن النبي قال: «مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا حتى لا نؤذيَ مَن فَوْقَنا، فلو تركوهم لهَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ لنَجَوْا جَمِيعًا». وكذلك أمتنا، إذا تركنا أهل الشر والفساد يعيثون في الأرض بالشر والفساد سيهلكوا ونهلك معهم «أنهلك وَفينا الصالحون يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: نعم، إذا كَثُرَ الخَبثُ». لقد قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «يَغْزُو جيشٌ الكعبةَ، فإذا كانُوا ببَيْداءَ مِنَ الأرْضِ، يُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ، قالت إحدى زوجات الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: يا رَسولَ اللهِ، أيُخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ وفيهم أسْواقُهُمْ ومَن ليسَ منهمْ؟ قالَ: نعم، ثُمَّ يُبْعَثُونَ علَى نِيَّاتِهِمْ».

فقبل أن نصل إلى حالات التردي هذه علينا أن نتناهى عن المنكر بالحكمة وبالموعظة الحسنة، إذا رأيت شابًا كالشباب التائه الآن الذي يصنع شعره قبعة متشبهًا بالكفار أو متشبهًا بالفساق، يحلق الشعر من كل الجوانب كالحلقة الساقطة المتفشية التي سلك سبيلها الشباب الضائع فيترك قبعة من شعره في الوسط ويحلق ذات اليمين وذات الشمال مخالفًا الوارد عن رسول الله، فإن النبي نهى عن القزع، وهو أن تحلق بعض الشعر وتترك بعضًا، وفي ذات الوقت متشبهًا بالفساق من الممثلين أو من لاعبي الكرة الكفرة، فانهاه عن المنكر، للمسلم سمتٌ ينبغي أن يكون عليه، وللمسلمة كذلك سمت ينبغي أن تكون عليه.

فإذا رأيتم البنات المتبرجات خرجن كاسيات عاريات كالأوضاع المزرية التي ترونها فتناهوا عن المنكر قل لها: يا بنتي استتري، استري سوءتك، استري عزيزتك، لا يصح أن تمشي هكذا بهذه الطريقة التي تسخط عليك ربك، ألم تقرأي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]. كني متعففة، ذكروا أيُّها الإخوة، فإذا هداها الله فلك أجر هدايتها، «من دلَّ على خيرٍ كانَ له مثلُ أجرِ فاعلِه».

-بارك الله فيكم-، قال تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾. فنيطت النجاة بالناهين عن المنكر، نيطت النجاة كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)﴾ [الأعراف: ١٦٥]. وهنا قال تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)﴾ [هود: ١١٦-١١٧].

قال فريق من العلماء: ما دام هناك مصلحون فربنا يسلم القرى، إذا ذهب المصلحون دُمِرت البلاد على من فيها، وجاءتها الأوبئة، وجاءتها المصائب من كل صوبٍ وحدب، فاحرصوا على أن تكونوا مصلحين، وحافظوا على المصلحين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

ومن أهل العلم من أورد وجهًا من وجوه التفسير آخر فقال: وما كان ربك ليهلك القرى بشرك، حمل الظلم على الشرك وأهلها أهل عدل، فإن كانوا أهل شرك ولكنهم يتراحمون فيما بينهم فإن العذاب على الشرك يؤجَل للآخرة، أما إذا انضم إلى الشرك فساد آخر فإن العذاب يأتي كما فعل قوم لوط، مشركون، ويقطعون الطريق، ويفسدون في الأرض، ويأتون الفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين، لذا قُلِبت بلادهم عاليها سافلها، كذلك قوم شعيب مشركون انضم إلى شركهم تطفيف الكيل والميزان، كذلك قوم عاد مشركون انضم إلى شركهم البغي والتطاول على العباد، قوم فرعون مشركون انضم إلى شركهم ذبح الأبناء، واستحياء النساء، وتسخير العباد.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾. ولذا يُنقَل عن عدد من العلماء القول: بأن الأمم الكافرة إذا كان فيما بينها عادلة ومتراحمة يؤجَل عذابها

على الكفر إلى يوم القيامة، والأمم المسلمة إن كانت فيما بينها ظالمة ويبغي بعضهم على بعض فإنها قد تُعجَل عقوبتها في الدنيا، وفي الحديث الذي حسنه بعض العلماء: «ما مِن ذنبٍ أجدرُ أن يعجِّل اللهُ تعالى لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدِّخر له في الآخرةِ مثل البغيِ وقطيعةِ الرحمِ». قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]. أي: على ملة واحدة وعلى طريقة واحدة ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾. شاء الله أن يكون هناك أهل إيمان وأهل كفر، أهل صلاح وأهل فساد، ربنا قادر على أن يصلح العباد جميعهم، قادر على أن يضل العباد جميعهم، ولكن جعل من العباد مؤمن وكافر، جعل من العباد صالحًا وفاسقًا، يبتلي هذا بذاك ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾ [البقرة: ٢٥١].

فاختر لنفسك ما شئت هل ستكون من العباد الصالحين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر أم من المنخرسين أم من المتردين في الجحيم -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]. هي آية قوية في ذم الاختلافات ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾. فمن رحمهم الله يجتمعون ويأتلفون على كتاب الله وسنة رسول الله، ولا يكادون يختلفون، بل الاختلاف علامة شر.

ولقد خرج النبي ذات يوم على أصحابه وهم يتجادلون في بعض آيات الكتاب العزيز، خرج كأن حب الرمان تفقأ في وجهه من شدة الغضب واحمر وجهه، وقال: «أَلِهذا خُلِقتُم؟». أي: لهذا الاختلاف خلقتم؟ «أم بِهذا أُمِرتُم؟». «أَلِهذا خُلِقتُم أم بِهذا أُمِرتُم؟ ثم قالَ: لا تَضرِبوا كتابَ اللهِ بَعْضَه بِبَعضٍ، ألا تكونون مِثل هذا الرجل الصالح؟». وأشار إلى رجل بعيد اعتزل الاختلافات وهو عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُما-، فالخلاف شر، والنبي قال: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ ما ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فإذا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عنْه». وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «أَنا زَعِيمٌ ببيتٍ في ربضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ».

﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾. أي: التي قضاها وكتبها وتكلم بها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١١٩-١٢٠]. فاقرؤوا سير المرسلين، ففي سيرهم عبرة لأولي الألباب ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾. أي: في هذه السورة سورة (هود) ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ [هود: ١٢٠-١٢١]. امشوا على طريقتكم التي تمشون عليها ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾. أي: على طريقتنا التي أُمِرنا بها ﴿وَانتَظِرُوا﴾ [هود: ١٢٢]. وسننتظر معكم العقاب أو الثواب ﴿وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾ [هود: ١٢٢-١٢٣]. ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

أيُها الإخوة، أزف عليكم شهر رجب وهو من الأشهر الحرم، تلك التي قال الله فيها: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]. أي: لا تظلموا أنفسكم باقتراف السيئات وفعل الحرام، وكذا لا تظلموا إخوانكم، فالمؤمنون نفس واحدة ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾. وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الزَّمانَ قد استدار كهيئتِهِ يومَ خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ، السَّنةُ اثنا عَشَرَ شَهرًا، منها أربعةٌ حُرُمٌ،

ثلاثٌ متوالياتٌ: ذو القَعْدةِ، وذو الحِجَّةِ، والمحَرَّمُ، ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشَعبانَ».

ولماذا ضبط الرسول شهر رجب على وجه التحديد؟ ذلك لأن قبيلة مضر كانت تحافظ على هذا الشهر لا تقدمه ولا تؤخره، أما سائر قبائل العرب من أهل الشرك فكانوا يعبثون بهذا الشهر، فكانوا يتقاتلون، فإذا دخل رجب والمعارك على أشدها يُفترض أن تقف المعارك؛ لأنه من الأشهر الحرم، لكن يقولون: نلغي رجب هذه السنة، لا رجب هذا العام، أو نؤجل رجب لبعد شوال، يبدلون في الأشهر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ [التوبة: ٣٧]. وهو التأخير تأخير شهرٍ عن مكانه ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ﴾. أي: ليوافقوا ارتكاب الحرمات في شهر الله الحرام ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. فكان أهل الكفر يصنعون هذا، لكن قبيلة مضر كانت تحافظ هذا الشهر لا تقدم ولا تؤخر، فنُسِب إليها، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشَعبانَ». كذا قال رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

ولقد قال تعالى أيضًا في شأن الأشهر الحرم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].والمراد: الأشهر الحرم، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. ذكر الآية، وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنَّ دِماءَكُم، وأَمْوالَكم، وأعْراضَكُم حرامٌ عَلَيْكُم كَحُرْمة يومِكُم هَذَا، في شهرِكُمْ هَذَا». كان هذا في ذي الحجة، وهو أحد الأشهر الحرم، أزف عليكم هلال رجب وستأزف الأهلة هلالًا بعد هلال، وكما قال القائل:

تَمُــــرُّ بِنَـــا الْأَيَّـــامُ تَتْـــرَى ... وَإِنَّمَـا نُسَـاقُ إِلَـى الآجَـالِ وَالعَـيْنُ
فَلَـيس بعَائِـدٍ ذَاكَ الشَّـبَابُ الَّـذِي ... وَلَـيس بزَائِـلٍ هَـذَا الْمَشِـيبُ الْمُكَـدِّرُ

فكل يوم يقربنا من الأجل الذي كتبه الله لنا، وإن شئت ونظرت إلى من في المسجد هذا منذ شهر واحد كان معكم أقوام فوافاهم الأجل، وقبضهم الله ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)﴾ [لقمان: ٣٤]. ولا فرق بين شاب وشيخ، ولا صغير ولا كبير، ولا ذكر ولا أنثى، فالآجال كتبها الله وقدرها.

يسرُّ الفتى طولُ السلامة والبقا ... فكيف ترى طولَ السلامة يَفْعَلُ
يرد الفتى بعدَ اعتدال وصحة ... ينوءُ إذا رامَ القيامَ ويُحمَلُ

وأحسن من قال:

وَقدْ أصبحتُ أرى الاثنين أربعة ... وَالأربعة اثنين لما هدني الكبر

فإلى كبار السن أفيقوا وأنيبوا إلى ربكم، أشهر الله الحرم أقبلت عليكم فاعملوا صالحًا، لا تظلموا فيها خلق الله، ولا تظلموا فيها أنفسكم بافتعال المحرمات واقتراف المآثم، بل اعملوا صالحًا ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾. استغفروا من ذنوبكم، وردوا الحقوق إلى أهلها، فالحقوق مؤداة حتمًا «لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها». لتردن الحقوق إلى أهلها «لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها». اللام هي الموطئة للقسم، فالمعنى: والله لتؤدن الحقوق إلى أهلها «يومَ القيامةِ حتى يُقادَ للشاة الجَلْحَاءِ من الشاة القَرْنَاءِ». فاعملوا صالحًا.

اعملوا صالحًا وخاصة في هذه الأشهر الحرم، فمن كان له ذنب اعتاد فليقلع عن هذا الذنب سائلًا الله العفو، من ظلم شخصًا فليرد المظلمة «قَبْلَ أَن لا يَكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، إنما هي الحسناتُ والسيئاتُ». هذا وعن صيام شهر رجب هل يُستحب أو لا؟ يرى عدد كبير من العلماء أنه يُستحب، لماذا؟ هل ورد عن الرسول نص صريح صحيحٌ في هذا الصدد؟ لم أقف على نص صحيح صريح في ذلك، ولكنها نصوص فيها بعض الكلام اليسير، ليس ضعفها بشديد تقوت بالعمومات، فمن هذه النصوص قوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ-: «صُمْ مِن الحرمِ وأَفْطِرْ». ضعفه يسير، ومن هذه النصوص أن النبي سُئِل عن سبب إكثاره من الصيام في شعبان، قال: «ذلِكَ شَهْرٌ يَغفُلُ النَّاسُ عنهُ بينَ رجبٍ ورمضانَ». قالوا إذن لم يكن الناس يغفلون عن فعل الخيرات في رجب ولا في رمضان، وكذا من المفهوم المقابل لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾. أننا نعمل أعمالًا صالحة، فهذه حجج الجماهير القائلين باستحباب الإكثار من الصيام في رجب من غير تقييد بيوم عينه إلا الاثنين والخميس عمومًا سواء في رجب أو في غير رجب.

فاعملوا صالحًا، وصلوا الأرحام التي تقطعت، وبروا الآباء وبروا الأمهات، وأعطوا للجيران حقوقهم التي سُلِبت، فأصبح الناس في هذه المدنية الزائفة لا يعرف الجار جاره، أنت في شقة وفوقك شخص جار في شقة لا تعرف جارك، وهذا من الخطأ والمخالفة الشرعية؛ لأن الله أوصى بالجار، فإذا سألك ربك عن جارك ماذا صنعت معه؟ تقول: يا ربي، لا أعرف اسمه، ما زرته في حياتي. كيف ذلك؟ والله يقول موصيًا فئات الوصايا العشر: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]. الجار الذي هو قريب لك والجار الذي لا تربطك به قرابة أوصى الله بهما معًا، وجبريل أوصى النبي بالجار «ما زال جبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنه سيورِّثُه». سيجعل له نصيبًا من الميراث.

والنبي كذلك يوصي بالجار «مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُحسِنْ إلى جارِه». وعبد الله بن عمرو يوصي بالجار حتى الجار اليهودي حتى النصراني، كان ابن عمرو إذا ذبح الذبيحة قال: «أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟». يستحث أهله على الإهداء للجار حتى الجار اليهودي، والنصوص في الإحسان للجار غير مقيدة بالجار المسلم، بل هي على عمومها.

اعملوا صالحًا في هذه الأيام، أكثروا من الصالحات، استكثروا من الباقيات الصالحات سائلين الله القبول، وادعوا الله أن يصلح أحوال البلاد، وأن يصلح أحوال العباد، وأن يفرج كرب المكروبين، ويفك أسر المأسورين، ويقضي الدين عن المدينين، اسألوا الله أن يبارك لمن قام في هذا المسجد بالمال أو بالجهد، فهذا صرحٌ طيب نحسبه من الباقيات الصالحات لأصحابه، اسألوا الله أن يخلص نوايانا جميعًا وإياكم لوجهه الكريم، اللهم آمين.

اللهم ألبسنا لباس التقوى، وزودنا بزاد التقوى، وزينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، وأصلح شبابنا وشباب المسلمين، وأصلح شيوخنا، وشيوخ المسلمين، ونساءنا، وفتياتنا يا رب العالمين، اللهم خذ بأيدينا ونواصينا للبر والتقوى، وتوفنا على كلمتي الإيمان والهدى وأنت راضٍ عنا، وأصلح يا ربنا البلاد والعباد، اجمع يا رب بين قلوب أهل مصر على كتابك وسنة رسولك، وفرج كرب كل مكروب، وفك أسر كل أسير، واحقن يا ربنا دماء المسلمين جميعًا أينما يكونون وحيثما يكونون، وجنبنا يا ربنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واقضِ الدين عنا وعن المدينين، اللهم آمين، ألحقنا يا ربنا بمن أنعمت عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، واجعلنا جميعًا أئمة هدى يا رب العالمين.

ألا وأكثروا من الصلاة والسلام على البشير النذير؛ فإن صلاتكم عليه تصل إليه، فيرد عليكم مصليًا مسلمًا، صلوات ربي وسلامه على هذا النبي الأمين.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=V_xzf٤LYm٧g&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٣١

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share